



## مراجعة مقال في كتاب التلوين الصوتي مقاربات جمالية في الخطاب الشعري

م.م. مها عماد عبيد

جامعة الفلوجة/ مكتب رئيس الجامعة

[maha.e.obaid@uofallujah.edu.iq](mailto:maha.e.obaid@uofallujah.edu.iq)

### الملخص:

يتناول المقال التلوين الصوتي في الخطاب الشعري بوصفه آلية فنية جمالية تقوم على تنويع الأصوات والإيقاعات داخل النص ، لإحداث تأثير سمعي وانسجاماً إيقاعياً يخدم التجربة الشعرية. ويسهم هذا التلوين في تشكيل القيمة الجمالية من تآلف الحروف، وتنوع النبر والتنغيم ، وتوظيف الحروف ، ويخلص إلى أن المقاربة الجمالية للتلوين الصوتي تكشف تلاحم الصوت والمعنى ، مما يعزز جماليات النص الشعري.

**الكلمات المفتاحية:** التلوين الصوتي، الجمالية، الخطاب الشعري.

### Review of an article in the book **Audio Coloring: Aesthetic Approaches to Poetic Discourse**

Maha Emad Obeed

University of Fallujah -Office of the University President

### Abstract:

The article deals with vocal coloring in poetic discourse as an aesthetic artistic mechanism based on diversifying sounds and rhythms within the text, to create an auditory effect and rhythmic harmony that serves the poetic experience. This coloring contributes to shaping the aesthetic value of the combination of letters, the diversity of stress and intonation, and the use of letters. It is concluded that the aesthetic approach to phonetic coloring reveals the cohesion of sound and meaning, which enhances the aesthetics of the poetic text

**Keywords :** vocal coloring, aesthetics, poetic discourse

### المقدمة

في محاولة لاستنطاق المسكوت عنه في بنية النص الشعري، تأتي دراسة الباحثة **آلاء علي عبد الله العنبي** المعنونة بـ **"التلوين الصوتي: مقاربات جمالية في الخطاب الشعري"**، لتقدم قراءة نقدية مغايرة تتجاوز السطح اللغوي لتغوص في أعماق "الصوت" بوصفه دالة جمالية ومعرفية.

ينطلق الكتاب من رؤية فلسفية مفادها أن الصوت ليس مجرد وعاء للكلمة، بل هو "المستوى الأول" الذي تنبثق منه بقية المستويات الدلالية والتركييبية. وتتجلى أهمية هذا العمل في كونه لا يكتفي بالجانب التنظيري، بل يسعى لتطبيق مفهوم "التلوين الصوتي" –الذي وضعه الدكتور أسامة عبد العزيز جاب الله– على متن شعري معاصر يتمثل في ديوان **(تجاعيد)** للشاعر الدكتور **مشتاق عباس معن**.

تضعنا العنبي أمام مختبر نقدي رصين، حيث تُفكك آليات "التنغيم" عبر الأساليب الإنشائية كالاستفهام والتعجب، وتنتقل ببراعة لتحليل "الإيقاع" بشقيه الثابت (العروضي) والمتحرك (التكرار والمحسنات)، وصولاً إلى منطقة بكر في النقد العربي وهي "التشكيل البصري" (Visual Formation)، حيث يتحول بياض الورقة وعلامات الترقيم إلى طاقة صوتية توجه أداء المتلقي وتمنح النص أبعاداً تلوينية لا تتركها العين وحدها.



تُقسم الباحثة دراستها إلى أربعة مفاصل حيوية، تشكل في مجموعها خارطة طريق لفهم التلوين الصوتي. تبدأ في **المفصل الأول** بالتركيز على "التنغيم"، حيث لا تنتظر للأساليب الإنشائية (كالاستفهام، التعجب، النداء، والشرط) كقواعد نحوية جافة، بل بوصفها "طاقة صوتية" تمنح النص أبعاداً شعورية متغيرة بتغير نبرة الصوت وتدفق الأنفاس.

أما في **المفصل الثاني**، فتخوض العنكي في مقارنة نقدية لافتة بين "النص المموسق والنص غير المموسق"، مستعينة بـ "تقنية السيناريو" التي وظفها الشاعر مشتاق عباس معن في قصائده، مما يكشف عن قدرة التلوين الصوتي على خلق مشهدية بصرية وسمعية متكاملة تكسر جمود النص التقليدي. وينتقل بنا **المفصل الثالث** إلى جوهر الموسيقى الشعرية، حيث تُفرد الباحثة مساحة لتحليل "الإيقاع" بنوعيه:

١. **الإيقاع الثابت (العروضي):** المتمثل في الوزن والقافية، وهو الهيكل الذي يستند إليه النص.
٢. **الإيقاع المتحرك (الداخلي):** الذي ينبع من "التكرار" والمحسنات الصوتية كالجناس والطباق، معتبرة إياها "عصارة التلوين" التي تعيد تشكيل وعي المتلقي بالمعنى.

وتختتم الدراسة بـ **المفصل الرابع**، وهو الأكثر حداثة، حيث تتناول "التشكيل البصري" (Visual Formation). هنا، يصبح "بياض الورقة"، "علامات الترقيم"، وحتى "الهامش الشعري" أدوات تلوينية. فالبياض ليس فراغاً، بل هو "صمت صوتي" موجه، وعلامات الترقيم هي إشارات مرور تنظم حركة الصوت والدلالة، مما يجعل من القصيدة لوحة فنية تُقرأ بالعين وتُسمع بالبصيرة.

إن كتاب آلاء العنكي يمثل إضافة نوعية للمكتبة النقدية، كونه نجح في تحويل المصطلحات الصوتية المعقدة إلى أدوات تحليلية ملموسة، مبرهنناً على أن النص الشعري المعاصر هو كيان حي، يتنفس بالأصوات قبل الكلمات.

## - المنهجية :

### ١. المنهج الوصفي التحليلي

اعتمدت المؤلفة على وصف ظاهرة "التنغيم" (Intonation) وتحليلها بوصفها أحد تجليات علم الأصوات التشكيكي (الوظائفي). فهي لا تكتفي بسرد القواعد، بل تحلل كيفية تفاعل الصوت مع السياق لإنتاج الدلالة، معتبرة أن "الأداء هو المتحكم الوحيد تبعاً لمعطيات الدلالة".

### ٢. المزوجة بين المستويات اللغوية

تتجلى عبقرية المنهج في عدم فصل "الأصوات" عن "النحو" أو "المعنى". يتضح ذلك من خلال:

الربط بين النحو والتنغيم: ترى المؤلفة أن "النحو ناقص بدون دراسة الأنماط التنغيمية"، فالصوت هو الذي يفرق بين أساليب الكلام (إخبار، استفهام، تعجب) حتى في حال غياب الأداة اللغوية.

التفرقة الدقيقة بين المصطلحات: ميزت بمنهجية علمية بين "النغمة" (Tone) على مستوى الكلمة، و"التنغيم" (Intonation) على مستوى الجملة.

### ٣. التدرج من التنظير إلى النماذج الأدائية

سلكت الباحثة مساراً تعليمياً تصاعدياً في عرض المادة:

تحديد المستويات: صنفت التنغيم في العربية إلى ثلاثة مستويات (المستوية، الصاعدة، الهابطة).

استخدام الترسيمات البيانية: استعانت برسوم توضيحية (الأسهم والخطوط المنكسرة) لتمثيل حركة الصوت صعوداً وهبوطاً، مما يسهل على القارئ تخيل "الأداء الصوتي" للنص الشعري.



٤. الاستشهاد بالتراث والحداثة

اعتمدت منهجية التوثيق الرصينة من خلال:

المرجعية اللسانية: الاستناد إلى علماء لغويين (مثل فيرث Firth، وفندريس) لترسيخ المفاهيم العلمية.

الاستدلال الشعري: تطبيق هذه القواعد مباشرة على نصوص معاصرة (ديوان "تجاعيد" لمشتاق عباس معن)، كما في تحليل جملة "أنت تعرف أن الطريق إلى سبأ بعيدة؟"، حيث أثبتت كيف يعوض التنغيم غياب أداة الاستفهام.

٥. التركيز على "الوظيفة التأثيرية"

لم تتعامل المؤلفة مع الصوت كظاهرة فيزيائية فقط، بل كأداة "انفعالية تأثيرية". ركزت في منهجها على رصد "صيحات الانفعال" وكيف يعبر التنغيم عن مشاعر كـ (الرتاء، السخرية، المسكنة، والتعجب)، مما يجعل دراستها ذات طابع جمالي نقدي وليس لسانياً جافاً.

خلاصة المنهج: هو منهج لساني تكاملي، ينطلق من أصغر وحدة صوتية ليصل إلى أوسع فضاء دلالي في القصيدة، مستخدماً الأدوات النقدية الحديثة لاستنتاج النص الشعري.

- التحليل الموضوعي :

١. الإطار المفاهيمي (التنغيم بوصفه موسيقى الكلام)

تتبنى الباحثة رؤية لسانية حديثة ترى أن التنغيم (Intonation) ليس مجرد حلية صوتية، بل هو "الإطار الصوتي للجملة". وتضع تقريباً منهجياً حاسماً:

النغمة (Tone): دور درجة الصوت على مستوى الكلمة المفردة.

التنغيم (Intonation): دور درجة الصوت على مستوى الجملة الكاملة، وهو الذي يمنح النص الشعري هويته الأدائية.

٢. التنغيم كبديل عن الأدوات اللغوية (الوظيفة الدلالية)

يظهر التحليل الموضوعي للصفحات أن الباحثة تركز على "قدرة الصوت على التعويض". ففي حالات كثيرة، يغيب الحرف أو الأداة (مثل همزة الاستفهام)، وهنا يأتي التنغيم المساعد ليقوم بدور الأداة المحذوفة.

مثال من التحليل: في جملة الشاعر مشتاق عباس معن (أنت تعرف أن الطريق إلى سبأ بعيدة)، توضح الباحثة أن الضغط الصوتي على كلمة "تعرف" هو الذي حوّل الجملة من "خبرية" إلى "استفهامية"، مما يثبت أن التنغيم هو "المحرك الدلالي" الذي يكسر جمود البناء النحوي.

٣. الأنماط التنغيمية وتجسيد الانفعال

حللت الباحثة ثلاثة أنماط رئيسية للحركة الصوتية، وربطتها بالحالة الشعورية للنص:

النغمة المستوية: ترتبط غالباً بالإخبار والتقارير.

النغمة الصاعدة: ترتبط بالتعجب والاستفهام والدهشة.

النغمة الهابطة: ترتبط أحياناً بالسخرية أو الانتهاء والتقارير القاطع.

هذا الربط يحول القصيدة من نص مكتوب إلى "تجربة أدائية"، حيث تشرح الباحثة كيف يعبر التنغيم عن (المسكنة، الرتاء، التوبيخ، أو الإنكار).



#### ٤. التداخل بين الأساليب الإنشائية

يكشف التحليل عن دقة الباحثة في رصد "خروج الأساليب عن معناها الأصلي". فهي توضح كيف يمكن لأسلوب (النداء) أو (الاستفهام) أن يخرج من معناه الحرفي ليؤدي وظيفة (التعجب) بفضل التلوين الصوتي. مثال: تحليل نداء "الله يا ذاك الغبار"، حيث لم يعد النداء لطلب الحضور، بل صار تعجباً وانفعالاً صوتياً صرفاً.

#### ٥. المنهج التطبيقي (ديوان تجاعيد نموذجاً)

الموضوعية في الكتاب تتجلى في عدم الاكتفاء بالنظرية؛ فالباحثة تستخدم "الترسيمات البيانية" (الأسهم المائلة والمنكسرة) لتوضيح حركة الصوت في الأبيات الشعرية. هذا التحليل البصري للصوت يجعل القارئ "يرى" النغمة قبل أن يسمعها، وهو ما يعزز فهم الموازنة بين (الضغط) و(النبر) في الشعر المعاصر.

#### - التنظيم المنهجي:

##### البناء التراتبي (التدرج المنطقي)

اعتمدت المؤلفة نظام "المفاصل" بدلاً من الفصول التقليدية، وهو مصطلح يوحي بالترابط العضوي بين أجزاء الدراسة. يتضح التنظيم في تقسيم المادة العلمية إلى:

مهاد المقاربة: لتأسيس المفاهيم النظرية (مفهوم التلوين الصوتي).

المفاصل التطبيقية: حيث خصصت كل مفصل لزاوية محددة (التنغيم، الإيقاع، التشكيل البصري). هذا التقسيم يضمن تغطية شاملة لظاهرة الصوت دون تداخل.

#### ٣. المنهجية الوصفية التحليلية

تتجلى منهجية الباحثة في كيفية عرض المعلومة داخل الصفحات:

التأصيل اللساني: تبدأ الفقرات بتقديم تعريفات علمية رصينة مستندة إلى مراجع عالمية وعربية (مثل "فيرث" و"أسامة جاب الله").

التحليل الإجرائي: لا تكتفي بالشرح، بل تنتقل مباشرة إلى تحليل الوظيفة (كيف يؤثر الصوت في المعنى)، مما يجعل المنهج "وظيفياً" بالدرجة الأولى.

#### ٤. التنظيم البصري والأدوات الإيضاحية

استخدمت الباحثة أدوات منهجية مساعدة لتسهيل فهم المادة الصوتية "المجردة":

الترسيمات البيانية: استخدام الأسهم (الصاعدة، الهابطة، والمنكسرة) لتمثيل حركة "التنغيم" بصرياً. هذا التنظيم المنهجي يحول الصوت إلى وحدة مرئية يمكن قياسها وتحليلها.

التوثيق (الهوامش): تظهر الصور التزاماً صارماً بمنهجية التوثيق الأكاديمي في أسفل كل صفحة، مما يعزز من موثوقية الطرح العلمي ويربط الدراسة بالمتن النقدي العربي والعالمي.

#### ٥. التكامل بين النظرية والتطبيق

من أبرز ملامح التنظيم المنهجي هو الاستشهاد الدائم بنصوص من ديوان "تجاعيد". الباحثة تضع القاعدة النظرية (مثل مستويات النغمة) ثم تتبعها مباشرة بنموذج شعري وتحليله، مما يجعل الدراسة "تطبيقية" بامتياز، تهدف إلى إثبات الفرضية العلمية من خلال النص الأدبي.

#### ٦. الدقة الاصطلاحية



تعتمد منهجية المؤلفة على دقة "الحدود والمصطلحات"؛ فهي تفرد مساحات لتمييز المصطلحات المتقاربة (مثل الفرق بين النغمة والتنغيم)، وهو تنظيم يمنع الخلط المفاهيمي لدى القارئ ويضع الدراسة في إطار التخصص الدقيق.

بهذا التنظيم، نجحت الباحثة في تحويل "أصوات الشعر" من مشاعر عابرة إلى مادة علمية قابلة للدراسة والتحليل المنهجي الرصين.

#### - الأسلوب :

##### ١. الدقة والوضوح الاصطلاحي

تعتمد المؤلفة أسلوب "التحديد القبلي"؛ فهي لا تستخدم مصطلحاً إلا بعد تعريفه وتفكيكه. يظهر ذلك في حرصها على التمييز الدقيق بين النغمة (Tone) والتنغيم (Intonation)، مما يجنب القارئ الخلط ويمنح النص طابعاً علمياً رصيناً.

##### ٢. التوظيف الأدواتي (المنهج الوظيفي)

أسلوبها ليس وصفاً لمجرد الوصف، بل هو أسلوب وظيفي. هي تبحث دائماً عن "العلّة" و"النتيجة"؛ كيف يؤثر الصوت في المعنى؟ وكيف يعوض التنغيم غياب الأداة؟ هذا يجعل أسلوبها مقنعاً لأنه يربط الظاهرة الفيزيائية (الصوت) بالظاهرة العقلية (الدلالة).

##### ٣. الأسلوب الاستدلالي (التنظير المشفوع بالتطبيق)

تتبع المؤلفة نمطاً ثابتاً في العرض:

طرح القاعدة اللسانية الحديثة.

ربطها بالجنور التراثية أو اللغوية العربية.

تطبيقها فوراً على نموذج شعري (ديوان تجاعيد).

هذا الأسلوب يجعل من كتابها "مختبراً نقدياً" وليس مجرد كتاب نظري ممل.

##### ٤. النزعة البصرية في التحليل

تتفرد الباحثة بأسلوب "تجسيد الصوت"، حيث لم تكتفِ بالكلمات لشرح النبر والتنغيم، بل استخدمت الترسيمات والرموز (الأسهم والخطوط المنكسرة). هذا الأسلوب يخاطب عين القارئ وعقله معاً، ويحول التلوين الصوتي من فكرة مجردة إلى شكل هندسي مفهوم.

##### ٥. الرصانة اللغوية مع مرونة الطرح

لغة المؤلفة قوية وجزلة (لغة أكاديمية بامتياز)، لكنها في الوقت نفسه تمتلك مرونة في عرض الأفكار المعقدة بسلاسة، خاصة عند حديثها عن "الانفعالات" و"صياحات التأثر"، حيث تمزج بين لغة العلم الجافة وبين تحليل العواطف الإنسانية الكامنة خلف النص الشعري.

##### ٦. الأمانة العلمية والتوثيق المتشعب

يتضح من أسلوبها في الهوامش أنها باحثة مطلعة على تيارات متنوعة؛ فهي تزوج في توثيقها بين:

المصادر الغربية: (مدرسة فيرث، فندريس).

المصادر العربية الحديثة: (أبحاث أسامة جاب الله، مشتاق عباس معن).

المصادر التراثية: (علوم النحو والأصوات القديمة).



أسلوب آلاء العنبيكي هو أسلوب "تكامل ي"؛ فهي ترى النص ككتلة واحدة لا ينفصل فيها الصوت عن الشكل البصري أو المعنى النحوي، وهي تتجح ببراءة في جعل "الصمت" و"البياض" و"النبرة" عناصر تتحدث وتكشف عن أسرار القصيدة.

### الخاتمة:

في ختام هذه القراءة لعمل الباحثة آلاء العنبيكي، يمكن القول إن كتاب "التلوين الصوتي" ليس مجرد دراسة لسانية في أصوات اللغة، بل هو محاولة جادة لإعادة "الروح" للنص الشعري المكتوب. لقد نجحت الباحثة في إثبات أن القصيدة المعاصرة لا تُقرأ بالعين فقط، بل تُستشعر عبر ذبذبات التنغيم، وانحناءات الإيقاع، وصمت البياض البصري.

تتجلى القيمة المضافة لهذا العمل في قدرة المؤلفة على تطويع المناهج الصوتية الحديثة لخدمة النص العربي، والخروج بنتائج نقدية تثبت أن "المعنى" في الشعر ليس ساكناً، بل هو كائن حي يتلون بتلون النبرة والضغط الصوتي. إن اختيار ديوان "تجاعيد" لم يكن مجرد تطبيق، بل كان حواراً ذكياً بين باحثة تمتلك الأدوات وشاعر يمتلك الرؤية.

يظل هذا الكتاب مرجعاً مهماً لكل مهتم بالدراسات الأسلوبية والصوتية، فهو يفتح آفاقاً جديدة أمام النقاد للالتفات إلى "جماليات الخفاء" في لغتنا العربية، حيث يصبح الصوت هو الدليل الأصدق على ما وراء الكلمات.

المصادر:

- 1- التلوين الصوتي مقاربات جمالية في الخطاب الشعري : الاء عبد الله العنبيكي ، ط الاولى 2015 ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع - العراق .
- 2- جماليات الصوت اللغوي دراسات لغوية نقدية : د. علي السيد يونس ، دار غريب - القاهرة / 2002 .
- 3- علم الاصوات : د. كمال بشر ، دار المعارف - مصر 1975 .
- 4- مدخل الى علم النص ومجالات تطبيقه : محمد الأخضر الصبيحي ، منشورات الاختلاف الجزائر ، ط 1 2008 .